الواحد لترى الصورة في وجهها الاخر فلذلك كان القلب اشرف الاشيا واعظمها
ومحل التجليات وخزينة اسرار الله تعالى ومحل انتقاش الحقايق الحقية والخلقية وقد
وصفه الله تعالى بقوله ذلك لمن كان له قلب اذ ليس المراد من القلب في الاية القطعة اللحم
التي هي في جوف الانسان لان تلك يشترك فيها الحيوانات واعلم ان الذي قال
الله تعالى له قلب المرشد الكامل وقوله او القى السمع وهو شهيد يعني المسترشد
الطالب للكمال لان هذا ليس ميسر لكل انسان لانه ان توجه الى عالم الشهادة بحيث
ينسى عالم القدس والتنزيه حجب عنه ما فيه من الخواص العلوية وصار حيوانا وان
توجه الى عالم الغيب بحيث ينسى عالم الشهادة والتشبيه حجب عنه ايضا ما عرض له
من الخواص السفلية فصار ملكا وان توجه الى احد العالمين ولم يذهل عن الاخر
كان انسانا كاملا وهذا مقام عال لا يتيسر لكل احد الا لمن سلك طريق المقربين
بعد مجاهدة النفس الجهاد الاكبر ومتى كان القلب متوجها الى الجسد بالتنعمات
واللذات الدنيوية والشهوات النفسانية كان محجوبا بسبعين حجابا ويسمى القلب
في هذه المرتبة بالنفس الامارة لانه حينئذ يتصف بالغضب المذموم وبالحقد
والحسد والكبر والتغاظم والعجب والعزة وسوء الخلق وغير ذلك من الاوصاف
المذمومة المذكورة في الباب الثالث المبعدة له عن حضرة ربه ولا تستغرب هذا الامر
لان اتباع الشهوات يجعل العزيز ذليلا روي ان امراة العزيز قالت ليوسف الصديق
عليه السلام يا يوسف ان الحرص والشهوة صير الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صير
العبيد ملوكا فقال لها انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وذلك لان القلب
حقه ان يكون اميرا على البدن والبدن مطيعا لاوامره ونواهيه فاذا غلبت الشهوة عليه
صار الامير مامورا وانعكس الامر فيصير الملك اسيرا او مسخرا في يد كلب او عدو
قاهر ولهذا كان الرجل اذا اطاع داعية الشهوة والشهوة يرى نفسه في النوم ساجدا
بين يدي خنزير او حمار وان اطاع الغضب يرى نفسه ساجدا بين يدي كلب
واعلم ان القلب ان نسي نفسه في هذه المرتبة الملعونة وطال وقوفه فيها
كان ذلك سببا في ابطال خاصيته وهي القدرة على التوجه الى عالم الغيب وابطال
خاصيته هو المعبر عنها بسواد القلب وبالطبع وبالرين لان القلب كالمراة فمتى
كانت صافية عن الصدى والكدر يشاهد الانسان فيها الاشيا واذا غلب عليها
الصدى ولم يكن لها ما يصقلها ويدفع الصدى عنها تمكن منها الصدى وغاص

في جوهرها وصارت بحيث لا يقدر الاستاد على ازالته وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى هذا
بقوله ان القلوب لتصدى كما يصدى الحديد قيل وما جلاها يا رسول الله فقال ذكر الموت
وتلاوة القران روى الغزالي في مختصر الاحيا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب اسود منكوس فذلك
قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق
فمثل الايمان فيه اي في القلب المصفح مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه
كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها فالمراد من القلب
الاول قلب المومن الكامل العارف والمراد من القلب الرابع قلب السالك حال سلوكه
فان تبع الشهوات ومال الى المخالفات هلك وبقي في سجين الطبيعة ومتى كان القلب
متوجها الى عالم الغيب سعى في كشف الحجب المذكورة شيا فشيا فيذهب عنه الكدورات
الحاصلة من المعاصي وكثرة الشهوات واستعد للتجليات وانتقشت فيه حقايق الاشيا
وكلما زالت عنه الشهوات قرب من مقام الاول المنزل عنه وهذا معنى كشف الحجب فان
لم يبق فيه شيء من الشهوات وصل الى مطلوبه لانه لم يبق بينه وبين الله حجاب
روى الغزالي رضي الله عنه في كتابه المذكور انفا انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اين الله في الارض قال في قلوب عباده المومنين وانه قال تعالى لم يسعني ارضي ولا سماي
ووسعني قلب عبدي المومن اللين الوادع يعني انه لا يراه الا قلوب المومنين لا يعني
انه تعالى يحل في قلوبهم لانه محال ولكن قلب المومن لما صقل حتى صار كالمراة فكما ان
المراة يرى فيها صور المحسوسات التي في عالم الملك كذلك القلب صار يرى فيه ما في
عالم الغيب وهذا هو العلم المفسر بحصول صورة الشيء في الذهن لان المراد من الذهن
النفس الناطقة وهي القلب كما عرفت وقال عمر رضي الله عنه راى قلبي ربي فمن اراد الوصول
الى هذه السعادات والترقي الى اعلا الدرجات فليدخل اولا من باب الابواب وهو التوبة
وانما سميت التوبة بباب الابواب لانها اول باب يدخل منه العبد الى حضرات القرب
من جناب الرب اعلم ان التوبة واجبة لقوله عز وجل وتوبوا الى الله جميعا
ايها المومنون يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وقال تعالى ان الله يحب
التوابين وقد اجمعت الامة على وجوب التوبة وقد قال عليه الصلاة والسلام ترغيبا
فيها التايب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة تجب ما قبلها وقال التايب حبيب الله
وقال عليه الصلاة والسلام لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم

Copyright © King Saud University